ولـكنها مقصورة على عدد محدود من الطلاب بينما يجب أن تكون شاملة للجميع ، ويُعَدُّ الالتحاق بها أمراً إضافياً على حين يجب أن يكون أساسياً ، وما دامت لا تدخل فى المنهاج ولا يمتحن فى أعمالها الطلاب المرهقون خارجها ببرنامج حافل فإنها لا تجتذب إلا القليلين ، وأغلبهم ممن لا يحفلون بالمواد الدراسية وكان يجدر الجمع بين الأمرين

***

فبتطهير الوسط المدرسىّ من أوشاب السوقة ، وإعطاء الرياضة البدنية مقامها اللائق ، وخلق الحياة الاجتماعية الجذابة بالمدرسة مكان الحياة القفرة المنفّرة ، تهيئ المدرسة الجو النقى الصالح الذى يبعث الطالب على مكارم الأخلاق ، ويهديه إلى القدوة الحسنة ، ويسمو به إلى احترام النفس والمجتمع ، وبذلك تؤدى المدرسة واجبها الأول ، وتحقق التربية غرضها الأسمى .

وهذه بعينها هى السُّنة التى درجت عليها المدارس الانجليزية من قديم ، ولا شك أن المدرسة الانجليزية تفوق غيرها من المدارس ، ولم يبلغ الانجليز ما بلغوا من العظمة بتزويد أبنائهم بمقدار من المعارف أكبر مما يناله غيرهم ، بل بالرياضة البدنية والحياة الاجتماعية المدرسية ، وهذه هى وسيلة التربية الخلقية وهى أداة الكفاح والنجاح فى الحياة للأفراد والأمم . ومن المأثور المشهور قول ولنجتون إن معركة وترلو كُسبت فى ملعب كلية إيتون ، فهو لم يقل إنها كسبت فى حجرات الدراسة أو معاملها ، بل فى الملعب حيث تخرج الرياضة البدنية جسماً سليماً وعقلاً سليماً وخلقاً قوياً وفرداً ينفع نفسه ومجتمعه

الإسكندرية — فخرى أبو السعود
المدرس بالعباسية الثانوية

الاسبرانتو Esperanto

كل القواعد — ومفردات تبلغ ٢٠٠٠ كلمة نظير ٢٠ مليماً طوابع بريد مصرية أو قسيمة للمجاوبة — أطلب النشرة نمرة ٣٠

مدرسة الأسبرانتو بالمراسلة ص . ب ٣٦٣ بور سعيد

هراقليوس فى المعبد

البَطَـــل *

للأستاذ معروف الأرناءوط

« أى صديق معروف ! إنك لتذمر أشخاص عالمك الذى صغت فى هذه الرواية البارعة ، بشعاع رقيق ، يحفل بالطيوب واللحون والألوان والصور

إنك لتفيض على كل ما تكتب بركة الحياة والنور ، فالأشكال تتكلم ، والصور تغنى ، والأخيلة تتفتح عن ألوان لماحة كالطيف ، مفترة كالصباح

فهنا حياة كاملة لجيل من الناس تنبسط وتأتلق حتى تملأ الأكوان بعبقها وإشراقها

وهنا الحدائق تتدفق بأنهار كأنهار الجنة تتنهد وتغرد ، وتتلفت وترنو ، وتعبق حافاتها بخمائل الخلد وأزاهير النعيم ، ثم تذوب فى الجو الساجى الحالم أنفاساً مشبوبة بالعطر ، لاهبة بالغناء طافحة بالشوق

فمن أحب أن يشعر بهناءة الفن ، ورفادة الأدب فليقرأ « عمر بن الخطاب »

ومن فاته أن يرى الى جنائن عبقر ، وحدائق الشرق المسحورة ، ويستمع الى حكايات الحب وأناشيد الحرب ، وينظر الى مواكب المجد وكتائب النصر فليلتمسها فى هذه الملحمة الكبرى ! »

أنور العطار

مَرَّ « هراقليوس(١) » فى أنحاء الكنيسة بين العمد

* الفصل السادس عشر من الملحمة الدينية الكبرى : « عمر بن الخطاب » التى تطبع الآن فى دمشق ، لكبير أدباء الشام الأستاذ معروف بك الأرناءوط عضو المجمع العلمى العربى ومؤلف « سيد قريش » وصاحب « فتى العرب »

(١) « فى هذه القطعة الشاعرة وصف دقيق أخاذ « لهراقليوس العظيم » يزور منفرداً فى الليل كنيسة السيد المسيح فى بيت المقدس ، وأحراسه وجنوده ومواكبه على أبواب المعبد ينتظرون معاده ، وهو فارق يستجدى هذا المطاف المقدس العزاء لنفسه الضارعة المهدودة ، فتلتمع فى عينيه صور ماضيه الآثمة ، فتثب الأشباح وتهمس الصور وتتنفس التماثيل ، ثم يبين له موكب من ضحاياه يضم اليه أربعة أشباح أضناها العذاب وأذابها الهم ، أحدها رجل مشوه اسمه « تقتال » والى جانبه ثلاث نساء هن « بليترا ، وابنتها الصغيرة مارية ، وبنيامينا ابنة تقتال » وقد كن إلى جانب « تقتال » مخبئات فى حنايا المعبد يترقبن دخول « هراقليوس »

وهنا يعرض الأستاذ الأرناءوط لهذا المشهد الرهيب فيمزج الأحياء بالأموات ، والحقيقة بالخيال ، والنقمة بالعفو

يخيل الى « هراقليوس » أن الصور المنقوشة فى الحوائط والجدر والتماثيل المنصوبة فى الزوايا والحنى ، تتحسس وتتنفس وتتكلم ثم تمشى اليه صفوفاً متراصة تأخذ عليه السبل وتثير فيه الخوف والرعب والألم والندم ، فيغيب عنه فى عالم يسوده البكاء والهول ، ثم يغمره العفو والرحمة ! »

والأقواس والحنايا والقناطر والتصاوير والشموع ، فكأنه في سروبه طائف ألقت به دنيا الأموات إلى دنيا الناس ، وما كان قاهر الفرس وسيد الكتائب الظافرة في أفريقية وأوربة ليستطيع أن يكافح شجوناً علقت بنفسه وملكت عليه إحساسه وشعوره ، وتلك هي شجون لم يحسر عنها أمام خلصائه وأصفيائه استبقاء لزهوه وكبره ، وحرصاً على ذلك المجد الذي بلغ نواحيه في عمره الطويل ، ولكنه أحب أن يأتي بحزنه وشجوه إلى هذا الليل الغاسق الذي بسط جناحيه على غابة تمور بالصور والدمى والمرمر والبرفير واللآلىء واليواقيت ، وقد يكون من الخير لنفسه أن تطفو روحه على هذه المشاهد والأشياء ، فكان كلما مر برواق من هذه الأروقة المعتمة هتف الجرح بقلبه وحسه ، فترسّل في مشيته ، وأقبل إلى العمد المرمرية الماثلة فترفق على جذوعها وجعل ينظر إلى أضواء الشموع ، ثم إلى هذه الصور التي قبست شحوبها من نفوس عمرت بالألم والتقى والورع ، فاذا صدف عن العمد المرمرية ونازعته نفسه إلى الطواف بالأماكن المقدسة ، انبسط أمامه فضاءُ الكنيسةِ واتسع ، وخيل إليه أن الحوائط والجدر تفرّمنه وتنأى عنه ، فما يستطيع لحاقاً بها ، ولا تستطيع أن تسايره في منازعه فتسكن وتستريح ؛ وكان في بعض الأحايين لا يجد مندى عن الوقوف أمام هذه الصور الملونة رجاة أن يتعرف إلى أصحابها ، فيفتح عينيه ويمد يده إلى مذبح صغير ازّينت أطرافه وجنباته بالذهب ، فيقبض على شمعة من هذه الشموع التي تضيء المذبح ، ويأتي إلى الصور ويقرأ أسماء الرسل على الضوء ، ثم لا تعجبه هذه الأسماء فيرتد عنها في مثل خفة الوميض ، ويطرح الشمعة إلى حضيض البيعة ، فيخبو نورُها ، ثم لا يغمه ويحزنه أن يستأنف طوافه في ليلين راعبين : ليل نفسه ، وهذا الليل الذي يغشى المعبد !

وربما كان من أحبّ أمانيه ألا يقولَ شيئاً لأصحابِ التصاوير ، وقد يكون من أرضى هذه الأمانيّ أن يأتي بدخيلة نفسه الى المسيح وحده ، وذريعته في الحرص على صمته حتى يخلو الى صورة السيد المسيح أنه ناضل ونافح في سبيله ، فأولى للنبي الذي نصره على الوثنية وبارك سلاحه في سوح الوغى أن يفزع الى الرسول العبقريّ ، وإنما يَضيرُه أن يقص حياته على صورٍ ما كان أصحابها من طرازه وعنصره !

ولقد وقف « هراقليوس » بعد إفلاته من القبر المقدس بجوارِ صخرةٍ قيل إن ملكا من السماء وقف عليها ليتحدث الى العذراء مريم ؛ فتهافت عليها وتمسح بها ، ثم دخل الى بيعةٍ صغيرة أسماها نصارى القرون العافية « معبد الملائكة » ، ثم لم يلبث أن ازْوَرّ عنها وجاء الى بيعةٍ محاذية في رحبتها قطعة كبيرة من المرمر الرّمادي قيل إن السيد المسيح صعد عليها وتراءى لمريم المجدلية ، وعليه لباسُ جَنّانٍ يحملُ الورد ، وكانت البيعة الصغيرة تسبح في ظلام شديد ، فثنته الجهمة الراعبة عن شعور الرجل التقي ، فجثم مصلياً على المرمر وحدّقَ الى سماء المحراب كأنه يريد أن يتعرف المكان الذي خرج المسيح منه بعد دفنه ، ولم يطل مكثه في المحراب ، فعافه وغشى المعبدَ الذي ظهر فيه السيد للعذراء بعد بعثه ، فطاف بدوائمه طوفة الحاجّ المنيب ، وكانت المصابيح المذهبة الملونة تضيء جوانب المعبد ، فرأى هراقليوس على وميضها صورة تمثل المسيح ووالدته ، فرقّ للصورة وابتسم ، ولكن ذلك العزاء الذي تمناه لم يخالطْ نفسه ، فجمع ذيول ردائه وخرج من المعبد ليدأب في طوافه ، فاستقبلته العُمُدُ المرمرية الرفيعة ، كأنها خيالات الموتى ، فأخافه ما عليها من سعف النخيل وورق الغار ، وأعمى مخاوفه احتراق البخور في كل ناحية من نواحي البيعة الكبرى ، وإطلال الصور على الحوائط والجُدُر ، وكان يخيل اليه أن حجّه قد انتهى ، فينبغي له وقد بلغ غايته من زيارة الأماكن الطاهرة أن ينقلب الى أحراسه الذين أبوا مفارقة أبواب الكنيسة قبل فراغه من حجه ، فلما همّ أن يخرج لم يستطع أن يتعرف الأبواب ، فقد امتد صحن الكنيسة وفاح حتى ماثل الحرجة الفيحاء ، فألقى بنفسه الى تيهٍ راعب ، وبلغ به المطاف محراب القدّيسة « هيلانة » المائل الى يساره ، فشخَصَ اليه وقرأ اسم هيلانة منقوشاً على المرمر بحروف أغريقية ، وهو لا يجهل أمر هذه المرأة التي لبست التاج في كنيسة الرسل ، وابتعثها شغفها العنيف بقصة حياة المسيح على فراق القصر ، فجاءت الى بيت المقدس لتبحث عن خشبة الصليب ، فلما عثرت عليها بالغت في تكريمها ، ثم رفعت هذه الكنيسة تخليداً لذكريات تلك الحياة الماجدة !

لألأ الفرح على جبين هراقليوس فتشاجى ورقّ ، وجعل يستعرض تاريخ تلك المرأة التقية التي أزجاها الورع الشديد المنيف الى الايغال في منالحة الوثنية ، فأكبر حياتها . ثم فاضل بين هذه الحياة وحياته ، فراقه تساوقٌ عجيبٌ في الحياتين ، ولذه أن تبدأ المرأة العاقلة أمرها في البحث عن الصليب حتى حصلت عليه ، وأن يبدأ هراقليوس أمره في إرجاع الصليب الى مكانه الأصيل بعد انتصاره على جيوش ملك الملوك كسرى !

وكانت هذه المفاضلة التي ذهب اليها ساعة وقف الى جانب المحراب مثاراً لذكريات نبيلة في نفسه ، فاطمأن البطل القارع الى خاتمة حياته ، ووثق بقدرته على اجتناء النصر حتى يغيب في رمسه ! وما عاد يخيفه هذا البغض الذي يشعر به الناس في الشام وفلسطين ومصر ، بل عاد هراقليوس يخاف أمر هذه الصحراء التي أخرجت الأبطال والمساعير الى مشارف الشام للثأر بدم الرسول الذي قتله أميرٌ من غسّان ! ومن أين لهذه الصحراء الغارقة في الرمال ، والتي لا يسمع لها نشيدٌ في البلاد الوارفة الظل ، حظّ هراقليوس اللامع وجدّه الساطع ؟ وهذا الملك الطويل العريض الذي استعبد الشعوب وأذلّ الملوك ؟ بل من أين لهذه الصحراء الظمأى السادرة في حر الهاجرة ، هذه الأنهار الجارية ، وهذه البحار الطاغية ، وهذه الشطآن التي لا حد لها ولا انتهاء !

قد تغري الحماسة فرسان الصحراء بالوثوب على القرى والمسالح ، ولكن دون وصول هؤلاء الفرسان الى المدن الضاحكة على ضفاف الأنهر وشواطئ البحار ، حميّة هؤلاء الملوك الذين مشوا في ركاب قيصر لقتال كسرى في مدائنه ! وبسالة الجيش الذي ظفر بأسلاب العدوّ في جبال الألب وفي سهول مقدونية ، وعلى شواطئ البحر اليونانيّ !

وماذا يستطيع « فروة بن عمرو » الذي ثار على سيده ومولاه أن يفعل ، وفي جيش هراقليوس قوادٌ ما تزال صدورهم تخفق بتلك الأناشيد التي سمعها العراق وسمعتها فارس ، ولا تزال صليلها الراعب يرعد في سمع هذه الدنيا التي لا يرتفع لها علم بجوار علم قيصر ! . . .

لقد همس هراقليوس باسم فروة ، وهو منحدرٌ الى الهاوية العميقة التي نقرت على جلامدها كنيسة القديسة هيلانة ، همس الساخر العابث ، ولما جاز السلالم إلى ذلك المنحدر الأوهد رفع يده إلى الفضاء كأنه يتوعد الفيلارك فروة بن عمرو الجذاميّ ، ثم تضاحك ، حتى لقد رنّ ضحكه في جوف الهاوية وأردف صائحاً : « ما أنا بحاجة الى قتالك أيها الفتى الذي ابتعثته أماني الشباب على الزراية بسيدّ الجيوش وأمير الجحافل ! فمثلك لا يقاتله رجل إلا من طرازه ونوعه ، وقد وقفت في المثور على الرجل فاليكه ، فانه الحارث الغساني أمير دمشق وسيأتيك من حيث لم تحذر ، ويقاتلك من مأمنك »

جاز قيصر السلالم في رفق وهوادة ، فاستقبلته الظلمة الفاحمة ، وارتمت على جبينه الرطوبة ، وسرت إلى نفسه عفونة ما كان يستطيع عليها صبراً ، ومع هذا كله مضى هراقليوس لما شاء ، ودأب في انحداره حتى انتهى إلى الهاوية ، فاذا عليها سحب من ليل صارد ، وإذا الرطوبة التي استقبلته على وصيد الباب تستقبله عند كل خطوة ، وإذا هو لا يبصر غير بريق الفسيفساء على الحياط والجدر والحنايا ، فانكمش وتقاصر وردّت اليه هواجسه ، وثابت الى قلبه وساوسه ، وامتلأ رأسه بالتهاويل والتصاوير ، فاطرح عبقرية الرجل الأريب ، وأخذته رجنةُ الرجل السروب ، وفكر في الرجوع على عقبيه فما جرؤ على رجعة وشيكة ، فقد سالت نفسه على الحياط والجدر ، وأنمى مخاوفه بصيص من ضياء يتسرب الى حضيض البيعة من ثقوب في قبتها السامقة ، وقد تسايل على الجدر والحياط فضوءها ، فنظر هراقليوس إليها فاذا عليها تصاوير قاتمة شاحبة تمثل أشخاصاً ذوي وجوه كامدة ، وقد قعد هؤلاء القرفصاء ، وحسروا عن صدورهم فاذا هي قد أكلتها القروح وأثخنتها الجروح ، فسال صديدها على أطمار بالية عافية ، وبين هؤلاء المناكيد الشائم فقراء متسولون يغشى وجوههم الناصلة أثر غير يسير من بؤس ويأس ، ومن حولهم فتى رائع الجمال ، ضاحك الأسارير قد سدر شعوره الشقر على منكبيه حتى ماثل المسيح في ملامحه البارعة ؛ ولكنه ضرير لا يبصر ما حوله !

خيل الى هراقليوس وهو ينظر الى هذه التهاويل أنه في

مكان يسوده العذاب ، فتلطفت نفسه ورجفت أسنانه ووضع يده على عينيه كأنما هو يحاول ألا يرى إلى هذه الأشياء الجاهمة ، ثم فكر في الرجوع إلى المعبد ، ليلحق برجاله الذين ينتظرون معاده على الأبواب فما استطاع إلى ذلك سبيلاً ، فلقد أماتته مخاوفه إلى الابقال في الطواف فمشى بين صفين متقابلين من أشباح وصور ثم لم يعد في ميسوره أن يدأب في طوافه ، فوقف تحت قنطرة المعبد وجعل يستمع لغمغام مؤلم ينبعث من صدره

ليس بين هذه المحاريب التي غصت بها أنحاء كنيسة القبر المقدس ما يماثل محراب القديسة هيلانة في ظلمته وروعته ، وفي ذكرياته الحافزة المثيرة ، فلقد يستطيع الانسان أن يمر بالمعابد جميعاً وينسل إلى الأروقة جميعاً ، ويتجسس العمد والتصاوير جميعاً فلا يحس خوفاً ، فاذا ألقت به حظوظه العاثرة الى معبد القديسة هيلانه بدت له نواحيه وأطرافه صامتة ذاهلة ، فاذا تدفق في سيره ألفاه خالياً عاطلاً إلا من هذه الأشباح والأطياف الجاثمة على سلالمه ودرجاته وعند مداخله ، وإلا من هذه التصاوير التي لاتفارق جدره وحياطه ، فاذا طاف بهياكله ومنابره لم تتبدل في عينيه هذه الصور التي أبصرها على عمده وحناياه وأقواسه ، ثم لا يلبث أن يفر من هذا المكان الراعب الذي يماثل في تهاويله وتصاويره معابد الوثنية

لم يجد هراقليوس معدى عن الصلاة فخافت بصوته لعل صلاته تنسيه هذا الضجر الأحمق الذي علق بنفسه ، أو لعل هذه الصلاة التي همس بها في الراموس الراعب ترجع به إلى حزمه ومضائه فينقلب على أحلامه وهواجسه ، ويجفو هذه الزلة الجاهدة ، ويفيء إلى سربه صحيح العقل موفور الذكاء ، ولكن الرجل الذي أوفى لنصرانيته وبر بمسيحه ما كان يجد في هذه الصلاة التي رددها أمام التصاوير ، ذلك الصفاء الذي كان يشتاقه ، وذلك لأن ماضيه مَثَلَ له في الراموس النائي ، فزحمته طيوفه وأشباحه ، وخرجت على فمه أسماء معاركه وملاحمه ، وانفلتت من صدره ذكريات مخازيه ومساويه ، فوازن بين انتصاره على الوثنية وبين ابتهاله في تنكيد أبناء الشيع النصرانية ، فرجحت كفة رذائله على كفة فضائله ، فتشاجى ورق وهام على وجهه في فضاء المعبد حتى بلغ هيكله المرمري ، فوقف حياله كأنما هو يريد أن يعترف بذنبه ، أو كأنما هو ينزع الى إلقاء جرائمه في هذا المكان المخوف ، فذكر أمام الهيكل اسم : « مارتينا » زوجه ، وقد نهاه البطريرك « سرجيوس » عن مخالطتها ، فأبى ذلك مسايرةً لميول قلبه ، ثم تزوجها وألبسها لباس القياصرة ومشى بها الى كنيسة أياصوفيا من غير أن يفطن الى عظيم ذنبه عند ربه

وكان كلما طافت به هذه الذكرُ الشجية لا يمنع عينيه البكاء حتى لقد استفاض أنينه في أنحاء المعبد ، فاستمعت لها التصاوير ووعتها السدفة ، ثم غشيته ذهلة قاتلة ، فجعل يهذي هذياناً بليغاً ، وانكفأ يخلط ماضيه بحاضره ، وقذف فمه أسماء ضحاياه ، وبين هذه الأسماء التي لا تحصي اسم فتاة وطىء قيصر عفافها في ليلة عاصفة بالبروق والرعود ، وأرادها على فراق وطنها فخرجت منه الى ربوع الشام وفي نفسها المحطمة من الذكر الراعبة ما ليس في كتاب

وكان هذا الخوف الذي تولاه ساعة نظر الى صورة الأعمى مبعث حيرته ومصدر وساوسه ، فسأل نفسه عن هذا الجزع الذي غشيها وهو الزعيم الكميّ الذي جاز بفرسانه شواهق أنطاكية وسهولها ليلحق بجيوش « كسرى » عند « تدمُر » فتنة الصحارى ، فلما فرت جيوش كسرى أمام كتائبه ثارت حميته واستأنف زحفه في أرض محصبة واعرة ، حتى لقي كسرى عند دجلة فنهد الى مقارعته وحمله عار الانكسار ، ولحق به الى المدائن وأقسره على إرجاع الصليب الذي حمله ملك الملوك من بيت القدس

وليس هذا كل ما فكر فيه ، بل لقد ذهب في تفكيره الى أبعد مدى ، فتمثل دخوله الى هياكل الوثنية في موكب ضاحك عليه الشيء الكثير من بهاء النصرانية ورواء القيصرية ، ولم ينس تلك الحماسة البالغة التي لقيها في معابد « جوبيتير » و « منرفا » فوازن بينها وبين هذا الفتور الذي استقبلته به معابد النصرانية ! وعيناه لا تزالان تنظران الى صورة الفتى الأشقر الذي لا يبصر !

(البقية في العدد القادم)

معروف الأرناؤوط